المبحث الثالث
نزول الكارثة بالمسلمين

تحول مصير المعركة:

«وبانسحاب أكثرية الرماة من الجبل انكشفت مؤخرة الجيش الإسلامي تمامًا، حيث بقيت دونما حراسة كافية؛ لأن عشرة من رماة النبل لا يمكن أن يقفوا في وجه مائتين من الفرسان الغائصين في الحديد.

ولم يكن من السهل إبلاغ المسلمين بما حدث؛ ولأن خالد بن الوليد لم يترك فرصة لقائد الرماة ومَنْ بقي معه لينبهوا المسلمين إلى ما حدث على الأقل.

فقد لمح قائد سلاح فرسان مكة ـ الذي كان يراقب موقع الرماة في الجبل مراقبة شديدة ـ لمح تَرْكَ أكثر الرماة لمراكزهم في الجبل فاهتبل الفرصة على عجل، وصاح في كتيبته من الخيالة آمرًا بالهجوم على المسلمين من الخلف..

فاندفعت خيل المشركين تسابق الريح يقودها خالد وعكرمة بن أبي جهل نحو مواقع الرماة في الجبل للقضاء أولًا على مَنْ بقي فيه من الرماة.

وقد صمد قائد الرماة مع مَنْ بقي في وجه فرسان مكة وقاوموا مقاومة الأبطال، ولكن أنَّى لعشرة من المشاة ـ مهما بلغوا من الشجاعة ـ بالمقاومة في وجه مائتي فارس مسلحين أحسن تسليح يقودهم خالد بن الوليد.

ولهذا لم تمض برهة حتى أباد خالد جميع من ثبت من الرماة في الجبل ومنهم قائدهم البطل عبد الله بن جبير ﷺ، رحمهم الله جميعًا». [غزوة أُحد لباشميل ١١٩-١٢٠].

قال الواقدي: «قَالَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ ﷺ: فَلَمَّا انْصَرَفَ الرُّمَاةُ وَبَقِيَ مَنْ بَقِيَ نَظَرَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ إِلَى خَلاءِ الجَبَلِ وَقِلَّةِ أَهْلِهِ فَكَرَّ بِالخَيْلِ وَتَبِعَهُ عِكْرِمَةُ فِي الخَيْلِ، فَانْطَلَقَا إِلَى بَعْضِ الرُّمَاةِ فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ، فَرَامُوا القَوْمَ حَتَّى أُصِيبُوا، وَرَامَى عَبْدُ الله بْنُ جُبَيْرٍ ﷺ حَتَّى فَنِيَتْ نَبْلُهُ، ثُمَّ طَاعَنَ بِالرُّمْحِ، حَتَّى انْكَسَرَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَقَاتَلَهُمْ، حَتَّى قُتِلَ ﷺ، وَأَقْبَلَ جُعَالُ بْنُ سُرَاقَةَ وَأَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ، وَكَانَا قَدْ حَضَرَا قَتْلَ عَبْدِ الله بْنِ جُبَيْرٍ ﷺ، وَهُمَا آخِرُ مَنْ انْصَرَفَ مِنْ الجَبَلِ حَتَّى لَحِقَا القَوْمَ وَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ عَلَى مُتُونِ الخَيْلِ فَانْتَقَضَتْ صُفُوفُنَا». [المغازي للواقدي ١/ ٢٣٢].

ويصور هذا التحول ونزول الكارثة بالمسلمين أحد شهود المعركة:

قال الواقدي: «وَانْتَقَضَتْ صُفُوفُ الْمُشْرِكِينَ، وَاسْتَدَارَتْ رِجَالُهُمْ، وَحَالَتْ الرِّيحُ وَكَانَتْ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى أَنْ رَجَعُوا صَبًا، فَصَارَتْ دَبُورًا، حَيْثُ كَرَّ الـمُشْرِكُونَ، بَيْنَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ شُغِلُوا بِالنَّهْبِ وَالغَنَائِمِ.

قَالَ نِسْطَاسٌ مَوْلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَكَانَ أَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلامُهُ: كُنْتُ مَمْلُوكًا فَكُنْتُ فِيمَنْ خُلِّفَ فِي الْعَسْكَرِ، وَلَمْ يُقَاتِلْ يَوْمَئِذٍ مَمْلُوكٌ إِلَّا وَحْشِيٌّ، وَصُؤَابٌ غُلامُ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، خَلِّفُوا غِلْمَانَكُمْ عَلَى مَتَاعِكُمْ يَكُونُونَ هُمْ الذِينَ يَقُومُونَ عَلَى رِحَالِكُمْ.**

فَجَمَعْنَا بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَعَقَلْنَا الإِبِلَ، وَانْطَلَقَ الْقَوْمُ عَلَى تَعْبِيَتِهِمْ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً وَأَلْبَسْنَا الرِّحَالَ الأَنْطَاعَ، وَدَنَا الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً، ثُمَّ إِذَا أَصْحَابُنَا مُنْهَزِمُونَ فَدَخَلَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ عَسْكَرَنَا وَنَحْنُ فِي الرِّحَالِ، فَأَحْدَقُوا بِنَا، فَكُنْتُ فِيمَنْ أُسِرُوا، وَانْتَهَبُوا الْعَسْكَرَ أَقْبَحَ انْتِهَابٍ، حَتَّى إِنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: أَيْنَ مَالُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ؟ فَقُلْتُ: مَا حَمَلَ إِلَّا نَفَقَةً هِيَ فِي الرَّحْلِ، فَخَرَجَ يَسُوقُنِي حَتَّى أَخْرَجْتُهَا مِنْ الْعَيْبَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةَ مِثْقَالٍ، وَقَدْ وَلَّى أَصْحَابُنَا وَأَيِسْنَا مِنْهُمْ وَانْحَاشَ النِّسَاءُ فَهُنَّ فِي حُجَرِهِنَّ سَلِمٌ لِمَنْ أَرَادَهُنَّ، وَصَارَ النَّهْبُ فِي أَيْدِي الرِّجَالِ، فَإِنَّا لَعَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ الاسْتِسْلامِ إِلَى أَنْ نَظَرْتُ إِلَى الْجَبَلِ، فَإِذَا الْخَيْلُ مُقْبِلَةٌ فَدَخَلُوا الْعَسْكَرَ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَرُدُّهُمْ قَدْ ضُيِّعَتْ الثُّغُورُ التِي كَانَ بِهَا الرُّمَاةُ وَجَاؤُوا إِلَى النَّهْبِ وَالرُّمَاةُ يَنْتَهِبُونَ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مُتَأَبِّطِي قِسِيِّهِمْ وَجِعَابِهِمْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي يَدَيْهِ، أَوْ حِضْنِهِ شَيْءٌ قَدْ أَخَذَهُ، فَلَمَّا دَخَلَتْ خَيْلُنَا دَخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ غَارِّينَ آمِنِينَ فَوَضَعُوا فِيهِمْ السُّيُوفَ فَقَتَلُوا فِيهِمْ قَتْلًا ذَرِيعًا، وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَتَرَكُوا مَا انْتَهَبُوا وَأَجْلَوْا عَنْ عَسْكَرِنَا، فَرَجَعْنَا مَتَاعَنَا بَعْدُ فَمَا فَقَدْنَا مِنْهُ شَيْئًا، وَخَلُّوْا أَسْرَانَا، وَوَجَدْنَا الذَّهَبَ فِي الْمَعْرَكِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ ضَمَّ صَفْوَانَ ابْنَ أُمَيَّةَ إِلَيْهِ ضَمَّةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَمُوتُ حَتَّى أَدْرَكْتُه بِهِ رَمَقٌ، فَوَجَأْتُهُ بِخَنْجَرٍ مَعِي فَوَقَعَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ بَعْدُ، فَقِيلَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ، ثُمَّ هَدَانِي اللهُ ﷻ بَعْدُ لِلإِسْلامِ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٣٠-٢٣١].

المسلمون بين نارين:

«ثم استدار ابن الوليد بسرعة وانقض بفرسانه على مؤخرة الجيش الإسلامي، بعد أن صاح فرسانه صيحة عرف منها المنهزمون أن ابن الوليد قد قام بحركة التفاف ناجحة ضد جيش المدينة، فانقلب المشركون نحو المسلمين وقاموا ضدهم بهجوم مضاد، وأسرعت عمرة الحارثية إلى لواء المشركين المطروح على التراب فرفعته ليلتف المنهزمون حوله من جديد، وتنادى المشركون المنهزمون وشجع بعضهم بعضًا على العودة إلى الميدان بعد أن رأوا لواءهم يُرفع من جديد.

وبهذا تغير الموقف تغيرًا كاملًا، وتحوَّل مجرى القتال لصالح المشركين.

أما المسلمون فقد صاروا بين نارين، فأصبح لذلك همهم الوحيد ـ في تلك اللحظة السيئة ـ النجاة بأرواحهم من الطوق الذي ضربه المشركون حولهم.

وبحركة خالد المباغتة التي يسرت لها غلطة الرماة النجاح الكامل، ضاعت على المسلمين معالم الخطة الحكيمة التي رسمها الرسول القائد ﷺ لإدارة دفة المعركة، فصاروا يقاتلون دونما تماسك، إذ

وجدوا أنفسهم وبطريقة فجائية ـ بعد نسف الرماة بتمردهم خطة القتال التي وضعها الرسول القائد ﷺ للمعركة ـ أمام أسلوب من القتال جديد.

فصاروا وكأنهم يخوضون معركة جديدة، يقاتلون فيها دونما خطة مرسومة، أو تعبئة سابقة، أو قيادة موحدة حيث أصبح كل فرد من أفراد الجيش المطوق، وقبل الاتصال بالنبي القائد الأعلى ﷺ، يرسم لنفسه خطة يحاول بموجبها الإفلات من الحزام الذي وجد المسلمون أنفسهم فجأة داخله».

[غزوة أُحد لباشميل ١٢٠-١٢١].

المسلمون يقتلون بعضهم:

لقد فقد المسلمون تنظيمهم ـ بعد غلطة الرماة ـ وانتقضت صفوفهم، وعمتهم الفوضى والارتباك، فاختلطوا، وألقوا ما في أيديهم من الغنائم، وانقلب بعضهم يضرب بعضًا، فعمت الفوضى والارتباك صفوفهم، وصاروا يقتتلون على غير شعار.

فكانت محنة قاسية سقط فيه كثير من المسلمين قتلى بأيدي إخوانهم من غير قصد.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إلَى الْمُنَقَّى، دُونَ الْأَعْوَصِ (موضع قرب المدينة).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ، قَالَ: لَـمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى أُحُدٍ، رَفَعَ حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ وَهُوَ الْيَمَانُ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ الْيَمَانِ، وَثَابِتُ [وَرِفَاعَةُ] بْنُ وَقْشٍ ﷺ فِي الْآطَامِ مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ وَهُمَا شَيْخَانِ كَبِيرَانِ: **مَا أَبَا لَكَ [لَا أَبَا لَكَ]، مَا تَنْتَظِرُ؟ [مَا نَسْتَبْقِي مِنْ أَنْفُسِنَا]، فَوَاَللهِ لَا بَقِيَ لِوَاحِدٍ مِنَّا مِنْ عُمْرِهِ إلَّا ظِمْءُ حِمَارٍ [دَابَّةٍ]** (الظمء: مقدار ما يكون بين الشربتين، وأقصر الأظماء ظمء الحمار؛ لأنه لا يصبر عن الماء، فضرب مثلاً لقرب الأجل)، **إنَّمَا نَحْنُ هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ** (الهامة: طائر يخرج من رأس القتيل إذا قتل (زعموا) فلا يزال يصيح: اسقوني اسقوني! حتى يؤخذ بثأره، فضربته العرب مثلاً للموت)، **أَفَلَا نَأْخُذُ أَسْيَافَنَا، ثُمَّ نَلْحَقُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُنَا شَهَادَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟** فَأَخَذَا أَسْيَافَهُمَا، ثُمَّ خَرَجَا، [فَلَحِقَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِأُحُدٍ مِنْ النَّهَارِ]، حَتَّى دَخَلَا فِي النَّاسِ وَلَمْ يُعْلَمْ بِهِمَا، فَأَمَّا ثَابِتُ بْنُ وَقْشٍ ﷺ فَقَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَمَّا حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ ﷺ، فَاخْتَلَفَتْ [فَالتَقَتْ] عَلَيْهِ أَسْيَافُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَتَلُوهُ وَلَا يَعْرِفُونَهُ [حِينَ اخْتَلَطُوا]، فَقَالَ حُذَيْفَةُ ﷺ: **أَبِي**، فَقَالُوا: **وَاَللهِ إنْ عَرَفْنَاهُ**، وَصَدَقُوا، قَالَ حُذَيْفَةُ ﷺ: **يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [مَا صَنَعْتُمْ!]**، فَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَدِيَهُ، فَتَصَدَّقَ حُذَيْفَةُ ﷺ بِدِيَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَزَادَهُ ذَلِكَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَيْرًا.

[السيرة لابن هشام ٨٧-٨٨، والمغازي للواقدي ١/ ٢٣٣، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح، رواه من طريقه الحاكم ٣/ ٢٢٢ رقم ٤٩٠٩. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٤٨، ٢٧١، وصحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢١٦].

وعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: لـمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ [هَزِيمَةً تُعْرَفُ فِيهِمْ]، فَصَاحَ إِبْلِيسُ [ـ لَعْنَةُ الله عَلَيْهِ ـ]: **أَيْ عِبَادَ الله أُخْرَاكُمْ**، فَرَجَعَتْ أُولَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ، فَنَظَرَ حُذَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانِ ﵁، فَقَالَ: **أَيْ عِبَادَ الله أَبِي أَبِي**، فَوَالله مَا احْتَجَزُوا [انْحَجَزُوا] حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ ﵁: **غَفَرَ الله لَكُمْ**، قَالَ عُرْوَةُ: **فَمَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ بَقِيَّةُ خَيْرٍ حَتَّى لَـحِقَ بِالله** ﷻ.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ انْهَزَمَ مِنْهُمْ قَوْمٌ حَتَّى لَحِقُوا بِالطَّائِفِ». [البخاري في بدء الخلق (٣٢٩٠)، في مناقب الأنصار ﵃ (٣٨٢٤)، وفي المغازي (٤٠٦٥)، وفي الأيمان والنذور (٦٦٦٨)، وفي الديات (٦٨٨٣، ٦٨٩٠)].

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﵁ قَالَ: اخْتَلَفَتْ سُيُوفُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَمَانِ أَبِي حُذَيْفَةَ ﵄ يَوْمَ أُحُدٍ وَلَا يَعْرِفُونَهُ، فَقَتَلُوهُ، فَأَرَادَ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَدِيَهُ، فَتَصَدَّقَ حُذَيْفَةُ بِدِيَتِهِ عَلَى الـمُسْلِمِينَ.

[مسند أحمد ٣٩/ ٤٦ رقم ٢٣٦٣٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن].

وقال الواقدي: «يَقُولُ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ ﵁: فَكُنَّا أُتِينَا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِنَا وَمَعْصِيَةِ نَبِيِّنَا، وَاخْتَلَطَ الْمُسْلِمُونَ وَصَارُوا يُقْتَلُونَ وَيَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، مَا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنْ الْعَجَلَةِ وَالدَّهَشِ، وَلَقَدْ جُرِحَ يَوْمَئِذٍ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ جُرْحَيْنِ ضَرَبَهُ أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَمَا يَدْرِي، يَقُولُ: **خُذْهَا وَأَنَا الْغُلَامُ الْأَنْصَارِيُّ**، قَالَ: وَكَرَّ أَبُو زَعْنَةَ فِي حَوْمَةِ الْقِتَالِ فَضَرَبَ أَبَا بُرْدَةَ ضَرْبَتَيْنِ مَا يَشْعُرُ إِنَّهُ لَيَقُولُ: **خُذْهَا وَأَنَا أَبُو زَعْنَةَ**، حَتَّى عَرَفَهُ بَعْدُ، فَكَانَ إِذَا لَقِيَهُ قَالَ: **أُنْظُرْ إِلَى مَا صَنَعْتَ بِي**، فَيَقُولُ لَهُ أَبُو زَعْنَةَ: **أَنْتَ ضَرَبْتَ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ، وَلا تَشْعُرُ، وَلَكِنَّ هَذَا الْجُرْحَ فِي سَبِيلِ الله**، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ ﷺ: «**هُوَ فِي سَبِيلِ الله يَا أَبَا بُرْدَةَ لَكَ أَجْرُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ ضَرَبَكَ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ، وَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٣٣].

إشاعة مقتل الرسول ﷺ:

«ومما زاد النكبة أن إشاعة سرت مفادها أن المشركين تمكنوا من قتل النبي ﷺ ونادى مناديهم بذلك، وسبب هذه الإشاعة أن أحد فرسان المشركين واسمه ابن قمئة التقى بمصعب بن عمير العبدري ﵁ حامل لواء المسلمين فقتله، وكانت طلعة مصعب ﵁ شبيهة بطلعة النبي ﷺ، وخاصة إذا لبس السلاح، فظن الفارس المشرك أنه قد قتل الرسول ﷺ فصاح: «لقد قتلتُ محمدًا»، فشاع هذا الخبر الكاذب بين المقاتِلين.

فوقع لهذه الإشاعة مزيد من الذعر والارتباك في صفوف المسلمين المطوقة».

[غزوة أُحد لباشميل ١٢٥-١٢٦].

وتاه الكثيرون منهم، لا يدرون إلى أين يتجهون، لاسيما وَقَد «نَادَى إِبْلِيسُ، وَتَصَوَّرَ فِي صُورَةِ جُعَالِ بْنِ سُرَاقَةَ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، ثَلاثَ صَرَخَاتٍ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٣٢].

ولقد كان من المتوقع أن تقضي كثرة العدو العديدة المتفوقة ـ التي أعادت تنظيمها بعد حركة خالد الناجحة ـ كان من المتوقع أن تقضي هذه الكثرة على القلة من المسلمين المطَّوقين وتسحقهم سحقًا كليًّا.

ولكن الليوث لا تُصاد بسهولة:

عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ صَاحَ يَوْمَ أُحُدٍ: **إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ**، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ: وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ الله ﷺ، رَأَيْتُ عَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ المِغْفَرِ (زرد أو غطاء ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة)، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: هَذَا رَسُولُ الله ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ اُسْكُتْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٤].

[المطالب العالية ١٧/ ٣٥٤ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٢)، وقال ابن حجر: رجاله ثقات ولكنه مرسل أو معضل، المغازي للواقدي ١/ ٢٣٥-٢٣٦].

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَصِرْنَا إِلَى الشِّعْبِ كُنْتُ أَوَّلُ مَنْ عَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَذَا رَسُولُ الله ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيَّ بِيَدِهِ أَنْ اُسْكُتْ، ثُمَّ أَلْبَسَنِي لأْمَتَهُ، وَلَبِسَ لأْمَتِي، فَلَقَدْ ضُرِبْتُ حَتَّى جُرِحْتُ عِشْرِينَ جِرَاحَةً ـ أَوْ قَالَ: بِضْعَةً وعِشْرِينَ جُرْحًا ـ كُلُّ مَنْ يَضْرِبُنِي يَحْسِبُنِي رَسُولَ الله ﷺ.

[مجمع الزوائد ٦/ ١٦١ كتاب المغازي والسير (١٠٠٧٨)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، ورجال الأوسط ثقات. وقال الشيخ العلي: ورواه أبو نعيم في الدلائل ٢/ ٤٨٢ من طريق ابن إسحاق، وقد صرح عنده بالسماع وسنده متصل، فالحديث صحيح. صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢٢٥].

وروى أبو يعلى بسنده عن عكرمة، قال: قال لي علي ﷺ: «لـمَّا انْجَلَى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ نَظَرْتُ إِلَى القَتْلَى فَلَمْ أَرَ رَسُولَ الله ﷺ فِيهِمْ، فَقُلْتُ: وَالله، مَا كَانَ ﷺ لِيَفِرَّ، وَمَا أَرَاهُ فِي القَتْلَى، وَلَكِنِّي أَرَى أَنَّ اللهَ غَضِبَ عَلَيْنَا بِمَا صَنَعْنَاهُ، فَرَفَعَ نَبِيَّهُ، فَمَا لِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ أُقَاتِلَ حَتَّى أُقْتَلَ، فَكَسَرْتُ جَفْنَ (غمد) سَيْفِي، ثُمَّ حَمَلتُ عَلَى القَوْمِ، فَأَفْرَجُوا لِي، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ الله ﷺ [بَيْنَهُمْ].

[المطالب العالية ١٧/ ٣٦٨ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٧)، مجمع الزوائد ٦/ ١٦٠ كتاب المغازي والسير (١٠٠٧٥)، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى وفيه محمد بن مروان العقيلي، وثقه أبو داود وابن حبان، وضعفه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الشيخ العلي: وإسناده حسن كما قال البوصيري. صحيح السيرة للعلي ص ٢٢٥].

قال الواقدي: «قال مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ ﷺ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ وَقَدْ انْكَشَفَ النَّاسُ إِلَى الجَبَلِ وَهُمْ لا يَلوُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ: «**إِلَيَّ يَا فُلانُ إِلَيَّ يَا فُلانُ، أَنَا رَسُولُ الله**»، فَمَا عَرَّجَ مِنْهُمَا وَاحِدٌ عَلَيْهِ وَمَضَيَا». **[المغازي للواقدي ١/ ٢٣٧].**

وعن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ ﷺ، وَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ ﷺ فِي أُخْرَاهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا.

[البخاري في المغازي (٤٠٦٧)، وفي تفسير القرآن (٤٥٦١)].

«وَثَبَتَ رَسُولُ الله ﷺ كَمَا هُوَ فِي عِصَابَةٍ (مجموعة) صَبَرُوا مَعَهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، سَبْعَةٌ مِنْ المُهَاجِرِينَ وَسَبْعَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ: **أَبُو بَكْرٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَطَلْحَةُ**

ابْنُ عُبَيْدِ الله، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ العَوّامِ، وَمِنْ الأَنْصَارِ: الحُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ، وَأَبُو دُجَانَةَ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَالحَارِثُ بْنُ الصُّمَّةِ، وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ.

وَيُقَالُ: ثَبَتَ **سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ**، فَيَجْعَلُونَهُمَا مَكَانَ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

وَبَايَعَهُ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ عَلَى المَوْتِ ـ ثَلاثَةٌ مِنْ المُهَاجِرِينَ وَخَمْسَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ: **عَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَأَبُو دُجَانَةَ، وَالحَارِثُ بْنُ الصُّمَّةِ، وَحُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ**، فَلَمْ يُقْتَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَرَسُولُ الله ﷺ يَدْعُوهُمْ فِي أُخْرَاهُمْ حَتَّى انْتَهَى مَنْ انْتَهَى مِنْهُمْ إلَى قَرِيبٍ مِنْ المِهْرَاسِ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٤٠].

النبي الجريح ﷺ:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: فَلَمَّا كَانَ عَامُ أُحُدٍ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، عُوقِبُوا بِمَا صَنَعُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ، وَفَرَّ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ، وَهُشِّمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وَسَالَ الدَّمُ عَلِي، وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿**أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾**﴾[آل عمران] بِأَخْذِكُمُ الْفِدَاءَ. **[مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٦٦ رقم ١٠٠٩٠، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في آخر حديث عمر الذي في الصحيح في مسنده الكبير. ومسند أحمد ١/ ٣٣٥، ٣٤٦ رقم ٢٠٨، ٢٢١، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، رجاله رجال الصحيح].**

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ فَأَصَابَ فِيهِمْ الْعَدُوُّ، وَكَانَ يَوْمَ بَلَاءٍ وَتَمْحِيصٍ أَكْرَمَ اللهُ فِيهِ مَنْ أَكْرَمَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّهَادَةِ حَتَّى خَلَصَ الْعَدُوُّ إلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَدُثَّ (قَالَ أَبُو ذَر: «من رَوَاهُ بالراء فَمَعْنَاه أُصِيب بهَا. وَمن رَوَاهُ (فَدُثَّ) بالدَّال الْمُهْملَة، فَمَعْنَاه رمي حَتَّى التوى بعض جسده») بِالْحِجَارَةِ حَتَّى وَقَعَ لِشِقِّهِ (لجنبه)، فَأُصِيبَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، وَكُلِمَتْ (جرح) شَفَتُهُ، وَكَانَ الذِي أَصَابَهُ عُتْبَة بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. **[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٧٩].**

«وقد ثبت محمد بن عبد الله الهاشمي النبي القائد ﷺ لتلك الهجمات السريعة المتلاحقة ثبوت الرواسي، وقاتل المهاجمين بضراوة وشجاعة منقطعة النظير، يسانده في ذلك قلة من أصحابه الذين ثبتوا معه، والذين لم يفارقه بعضهم منذ بداية المعركة، ومنهم من سارع بالانضمام إليه ساعة الانتكاسة.

وأثناء هذا الصراع الرهيب أُصيب الرسول القائد ﷺ بجراحات كثيرة، فقد تحطمت الخوذة الحديدية التي كانت على رأسه نتيجة للضربات التي أصابه المشركون بها، كما أنه أيضًا جُرح في وجهه الشريف عدة جراحات..

فقد حمل عليه أحد فرسان المشركين واسمه **ابن قمئة** وهو يقول: **أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجا.**

وروى الطبراني عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، رَمَاهُ عَبْدُ الله بن قَمِئَةَ بِحَجَرٍ يَوْمَ أُحُدٍ، فَشَجَّهُ فِي وَجْهِهِ، وَكَسَرَ رَبَاعِيَّتَهُ، وَقَالَ: **خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ قَمِئَةَ**، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ: «**مَا لَكَ، أَقْمَأَكَ اللهُ**»، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ تَيْسَ جَبَلٍ، لا تَيْسَ، فَلَمْ يَزَلْ يَنْطَحُهُ حَتَّى قَطَعَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً. [المعجم الكبير للطبراني ٨/ ١٣٠ رقم ٧٥٩٦، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه حفص بن عمر العدني، وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٦/ ١٦٩ رقم ١٠٠٩٦، وينظر: الشفاء للقاضي عياض ٢/ ٤٨٠، وفتح الباري ٧/ ٣٧٣].

وروى أبو نعيم عَنْ نَافِعِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: الَّذِي دَمَّى وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ عَبْدُ الله بْنُ قَمِئَةَ رَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ تَيْسًا فَنَطَحَهُ حَتَّى قَتَلَهُ. [دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ١/ ٤٨٨ رقم ٤٢٤].

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْسَرَةَ أَنَّهُ، سَمِعَ يَعْقُوبَ بْنَ مُوسَى يَقُولُ: الَّذِي دَمَّى وَجْهَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْقَمِئَةِ، فَكَانَ حَتْفُهُ أَنْ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ تَيْسًا فَنَطَحَهُ فَقَتَلَهُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «اسْمُهُ عَبْدُ الله بْنُ الْقَمِئَةِ».

[مصنف عبد الرزاق الصنعاني ٥/ ٢٩٠ رقم ٩٦٤٨].

وأثناء صراعه مع ابن قمئة علاه الأخير بالسيف وضربه به ضربة شديدة فلم تضره كثيرًا؛ لأنه ﷺ كان قد لبس درعين، وقد أصابت هذه الضربة عاتق النبي ﷺ فتأثر منها وشكا بسببها أكثر من شهر، فقد كانت ضربة عدو الله عنيفة إلا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين بها، فنجا رسول الله ﷺ منها.

كما أنه ﷺ أثناء هذا الصراع جُرح في وجهه، جَرَحَه ابن قمئة الذي كان يلح مع أصحابه في الهجوم على رسول الله ﷺ.

فقد دخلت حلقتان من حلق المغفر (زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة) في وجنتيه الشريفتين، وأخذ الدم يسيل على أثر ذلك؛ نتيجة لضربة أخرى أصابه بها أيضًا ابن قمئة، وكان عدو الله من فرسان المشركين الفاتكين.

كما شُجَّ وجهُه الشريف شجَّة كبيرة بقي أثرها في وجهه حتى التحق بالرفيق الأعلى؛ نتيجة لضربة جاءته أثناء احتدام المعركة، من عبد الله بن شهاب الزهري ـ جد الإمام محمد بن شهاب الزهري المشهور.

كذلك تكسرت رباعيته السفلى (هي السن التي بين الثنية والناب)، وانشقت شفته عندما قذفه عتبة بن أبي وقاص (أخو سعد بن أبي وقاص ﷺ) بحجر كبير.

كما وقع ﷺ أثناء تلك الساعة العصيبة الدامية في حفرة عميقة فجُرحت ركبتاه، وأُغمى عليه، وقد سارع أصحابه المدافعون عنه إلى إنقاذه، وأخذ على بن أبي طالب ﷺ بيده، ورفعه طلحة بن عبيد الله ﷺ من الحفرة حتى استوى قائمًا». [غزوة أُحد لباشميل ١٣١-١٣٣].

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾:

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ (يمسح) الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ [تُفْلِحُ أُمَّةٌ] شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ [فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ]، [خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ]، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله**»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران]. [مسلم في الجهاد والسير (١٧٩١)، وعلقه البخاري في المغازي باب ٣١، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠٢، ٣٠٠٣)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٧)، ومسند أحمد رقم ١١٩٥٦، ١٢٨٣١، ١٣٠٨٣، ١٣١٣٨، ١٣٦٥٧، ١٤٠٧٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ ـ يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ ـ اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ الله فِي سَبِيلِ الله**». [البخاري في المغازي (٤٠٧٣، ٤٠٧٤، ٤٠٧٦)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٣)، ومسند أحمد رقم ٨٢١٣، ٨٢١٤، ١٠٣٨٤].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى مَنْ قَتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ [نَبِيٌّ] فِي سَبِيلِ الله، اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ نَبِيِّ الله ﷺ. [البخاري في المغازي (٤٠٧٤، ٤٠٧٦)].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مسعود ﷺ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**».

[البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٧)، وفي استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٩٢٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٢)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٥)، ومسند أحمد رقم ٣٦١١، ٤٠٥٧، ٤١٠٧، ٤٢٠٣].

وَعَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ الله يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران].

[البخاري في المغازي (٤٠٦٩، ٤٠٧٠)، وفي التفسير (٤٥٥٩)، وفي الاعتصام بالكتاب (٧٣٤٦)].

وعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «**اللَّهُمَّ العَنْ أَبَا سُفْيَانَ، اللَّهُمَّ العَنِ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ العَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ**» ، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران]، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَأَسْلَمُوا فَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ.

[الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠٤)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**».

[صحيح ابن حبان في الأدعية ٣/ ٢٥٤ رقم ٩٧٣، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن].

المشركون يدمون زخم الهجوم على النبي ﷺ:

«لقد تعرض الرسول ﷺ لما تعرض له وأُصيب بما أُصيب به من جراحات، وهو في قلة من أصحابه، وبينما كان كذلك كان أصحابه الذين شتتهم النكسة، يتدافعون نحوه، كما أن المشركين ـ أيضًا ـ أخذوا في التكاثر عليه، فحمي الوطيس من جديد، ودارت المعركة ضارية حول الرسول ﷺ».

[غزوة أُحد لباشميل ١٣٤].

تجمع المسلمين مرة أخرى:

«وبالرغم من المأزق الحرج الذي وقع فيه سواد الجيش الإسلامي، فإنهم أخذوا يقاتلون بضراوة ليشقوا طريقهم نحو قائدهم النبي ﷺ، الذي تأكدوا من سلامته بعد أن سمعوه يناديهم بصوته الكريم من مقر قيادته.

فشقوا طريقهم ـ ولكن بصعوبة كبيرة ـ وسط غابات الرماح والسيوف التي أحاطهم المشركون بها من كل جانب بعد نجاح حركة خالد المفاجئة.

ولقد اتصل المسلمون من جديد بنبيهم ﷺ الذي بقي مع بعض هيئة أركان حربه يرقبون مطاردة المسلمين للعدو وتخلصوا من الطوق المضروب عليهم، ولكن بعد أن دفعوا الثمن غاليًا».

[غزوة أُحد لباشميل ١٢١-١٢٢].

قال الواقدي: «عَنْ نَمْلَةَ بْنِ أَبِي نَمْلَةَ ﷺ قَالَ: لـمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ نَظَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا نُفَيْرٌ، فَأَحْدَقَ بِهِ أَصْحَابُهُ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى الشِّعْبِ؛ وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ لِوَاءٌ قَائِمٌ وَلا فِئَةٌ وَلا جَمْعٌ، وَإِنَّ كَتَائِبَ الْمُشْرِكِينَ لَتَحُوشُهُمْ مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً فِي الْوَادِي، يَلْتَقُونَ وَيَفْتَرِقُونَ مَا يَرَوْنَ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ يَرُدُّهُمْ، فَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَنْظُرُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَؤُمُّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ نَحْوَ عَسْكَرِهِمْ وَتَآمَرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَفِي طَلَبِنَا، فَالْقَوْمُ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الاخْتِلافِ، وَطَلَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُصِبْهُمْ شَيْءٌ حِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ سَالِـمًا».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٣٨-٢٣٩].

كيف انقسم الجيش الإسلامي:

«كان المسلمون بعد كشف المشركين عن معسكرهم ونزول الهزيمة بهم، قد انقسموا إلى فرق ثلاث:

١ـ الفرقة الأولى: وهم الرسول ﷺ وبعض أركان حربه ظلوا في مركز القيادة العامة ولم يشتركوا في المطاردة، ومن بين هؤلاء أبو بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله وغيرهما من المهاجرين والأنصار، وقد كانت الفرقة قليلة العدد جدًّا إذ لم يزد عددهم على أربعة عشر رجلًا.

[سمط النجوم العوالي، للعصامي ٢/ ٨٥].

٢ـ **وفرقة ثانية**: اشتركت في مطاردة العدو، ولكنها لم تتوغل، وبقيت على مقربة من مقر قيادة الرسول ﷺ، وهذه الفرقة لم يتمكن المشركون من تطويقها، عندما تغير مجرى القتال، ويظهر أن من أفراد الفرقة أنس بن النضر وعمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم.

وهذه الفرقة أيضًا كانت صغيرة جدًّا، إلا أن رجالها كانوا يُعدون بالمئات، فقد سارع هؤلاء بالانضمام إلى الرسول ﷺ في مقره، وألَّفوا جبهة لحماية الرسول ﷺ من كرة العدو.

٣ ـ **وفرقة ثالثة**: وهي الفرقة الكبرى التي ضمت سواد الجيش الإسلامي، وقامت بمطاردة العدو حتى أجلته عن معسكره واحتلت مقر قيادته واستولت على ما في المعسكر من غنائم.

وهذه الفرقة ـ وإن شئت قل هذا الجيش ـ هو الذي تمكن جيش قريش من تطويقه تطويقًا كاملًا بعد ضربة خيالة ابن الوليد المفاجئة، وقد انقسم الجيش الإسلامي المطوَّق إلى قسمين:

١ـ **القسم الأول**: وهو صغير جدًّا، تمكن من الإفلات وانهزم نحو المدينة، حيث لم يوفق في شق طريقه نحو مقر قيادة الرسول ﷺ في الشِّعب، متوهمًا أن جيش المسلمين قد هُزم، وأن نبيهم ﷺ قد قُتل.

ولكن هذا القسم الصغير لما وصل بعضه أسوار المدينة عنفهم النساء اللواتي كن هناك في الآطام (الحصون) وعلى التلال يرقبن المعركة، عَنَّفَ النساءُ هؤلاء الرجال المنهزمين وحَثَتْ الزوجات التراب في وجوه أزواجهن، ونبهنهم إلى أن الرسول ﷺ لم يُقْتَل.

فعاد هؤلاء المنهزمون أدراجهم مسرعين نحو المعركة، ولكنهم لم يتمكنوا من الاتصال بالنبي ﷺ إلا بعد انتهاء المعركة، ويُقال إن بعضًا من هؤلاء المنهزمين لم يرجعوا إلا بعد ثلاثة أيام من المعركة، وهؤلاء هم الذين قال لهم النبي ﷺ: «**لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا** (أي الهزيمة) **عَرِيضَةً**»، أو كما قال.

[هذه المقولة رواها ابن حجر في المطالب العالية ١٧/ ٣٤٧ كتاب المغازي والسير، باب وقعة أُحد رقم ٤٢٦٠/ ٢، وأشار إلى أنها من رواية ابن إسحاق بغير إسناد].

وفي رواية للبخاري: «وَقَدْ كَانَ انْهَزَمَ مِنْهُمْ قَوْمٌ حَتَّى لَحِقُوا بِالطَّائِفِ». **[البخاري في الديات (٦٨٨٣)].**

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفئة المنهزمة ونص على أن الله تعالى عفا عنهم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾[آل عمران].

٢ ـ **القسم الثاني**: أما القسم الأكبر من سواد الجيش المطوَّق، فقد حدث ارتباك شديد داخل صفوفه، وانهارت الروح المعنوية ـ أو كادت ـ في نفوس بعض أفراده الذين أصابهم الذهول بعد الانتكاسة، وخاصة عندما سرت بينهم إشاعة مصرع النبي الأعظم ﷺ. **[غزوة أُحد لباشميل ١٢٢-١٢٤].**

فرار عثمان، وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان رضي الله عنهم:

عن عُثْمَانَ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مَنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا ، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ، فَحَدِّثْنِي هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ**»، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**»، فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**»، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ.

[البخاري في فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٣٦٩٨)، وفي المغازي (٤٠٦٦)، ومختصرًا في فرض الخمس (٣١٣٠) ، وفي فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٣٧٠٤)، ومسند أحمد ١٠/ ٥٢-٥٣ رقم ٥٧٧٢].

وعن الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: وَالَّذِينَ تَوَلَّوْا عِنْدَ جَوْلَةِ النَّاسِ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وسعد بْنُ عُثْمَانَ الزُّرَقِيُّ، وَأَخُوهُ عُقْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ، حَتَّى بَلَغُوا جَبَلًا بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ يقال له: الحاجب بِبَطْنِ الْأَعْوَصِ، فَأَقَامُوا بِهِ ثَلَاثًا، فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ لَـمَّا رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: **لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا عَرِيضَةً**.

[المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ١٧/ ٣٤٧ رقم ٤٢٦٠/ ٢].

تفكير بعض المسلمين بالاستسلام:

«فقد صار بعض المسلمين حائرين لا يدرون ماذا يصنعون، وتوقف آخرون عن القتال وألقوا بأسلحتهم، وفكر فريق في الاتصال بعبد الله بن أُبي في المدينة؛ ليعرض استسلامهم على القائد العام للمشركين أبي سفيان، ويأخذ لهم الأمان منه، ظنًّا منهم أن محمدًا ﷺ قد قُتل.

فقد قال قائل هؤلاء: «**لَيْتَ لَنَا رَسُولًا إِلَى عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ فَيَأْخُذُ لَنَا أَمَنَةً مِنْ أَبِي سُفْيَانَ، يَا قَوْمُ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوكُمْ فَيَقْتُلُوكُمْ**». [البداية والنهاية ط هجر ٥/ ٣٧٦].

[غزوة أُحد لباشميل ١٢٦].

هكذا تصنع العقائدُ الأبطالَ:

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله! غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ؟**، فَلَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ

وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ ـ يَعْنِي أَصْحَابَهُ ـ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ [جَاءَ بِهِ] هَؤُلَاءِ ـ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ـ**».

ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ [فَلَقِيَهُ] سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ فَقَالَ: **يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ**، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ الله مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ.

قَالَ أَنَسٌ ﷺ: كُنَّا نُرَى ـ أَوْ نَظُنُّ ـ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الآية [الأحزاب: ٢٣]. [البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٥)، وفي المغازي (٤٠٤٨)، والترمذي في التفسير (٣٢٠١)، ومسند أحمد ٢٠/ ٣٦٦ رقم ١٣٠٨٥، ٢١/ ٢٤٢ رقم ١٣٦٥٨].

وقَالَ أَنَسٌ ﷺ: عَمِّيَ [أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ] الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بَدْرًا، قَالَ: فَشَقَّ [فَكَبُرَ] عَلَيْهِ، قَالَ: **أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ الله ﷺ غُيِّبْتُ [غِبْتُ] عَنْهُ [غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ الْمُشْرِكِينَ]، وَإِنْ [أَمَا وَالله لَئِنْ] أَرَانِيَ اللهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لَيَرَانِي [لَيَرَيَنَّ] اللهُ مَا [كَيْفَ] أَصْنَعُ**، قَالَ: **فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا**، قَالَ: فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ [مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ]، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ [فَاسْتَقْبَلَهُ] سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: **يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟** فَقَالَ: **وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ**، قَالَ: فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، قَالَ: فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ، قَالَ: فَقَالَتْ أُخْتُهُ ـ عَمَّتِيَ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ ـ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

قَالَ: فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ.

[مسلم في الإمارة (١٩٠٣)، والترمذي في التفسير (٣٢٠٠)، ومسند أحمد ٢٠/ ٣١٨-٣١٩ رقم ١٣٠١٥].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ أَخُو بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ قَالَ: انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ، عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله، فِي رِجَالٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ: **مَا يُجْلِسُكُمْ؟** قَالُوا: **قُتِلَ رَسُولُ الله ﷺ**، قَالَ: **فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ**، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وَبِهِ سُمِّيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٣].

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: **إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَبْعَثَهُ اللهُ أُمَّةً وَحْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوُجِدَ بِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً فِي وَجْهِهِ مَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْ أُخْتُهُ حُسْنَ بَنَانِهِ، وَيُقَالُ: حُسْنَ ثَنَايَاهُ**. [المغازي للواقدي ١/ ٢٨٠].

إن رب محمد ﷺ لم يُقتل:

«قَالُوا: وَمَرَّ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُمِ ﷺ عَلَى خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ ﷺ، وَهُوَ قَاعِدٌ فِي حَشْوَتِهِ بِهِ ثَلاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا، كُلُّهَا قَدْ خَلصَتْ إِلَى مَقْتَلٍ، فَقَالَ: **أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ؟** قَالَ خَارِجَةُ ﷺ: **فَإِنْ كَانَ قَدْ قُتِلَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، فَقَدْ بَلَّغَ مُحَمَّدٌ، فَقَاتِلْ عَنْ دِينِكَ.**

وَمَرَّ عَلَى سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ﷺ وَبِهِ اثْنَا عَشَرَ جُرْحًا، كُلُّهَا قَدْ خَلَصَ إِلَى مَقْتَلٍ فَقَالَ: **عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ؟** قَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ﷺ: **أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ فَقَاتِلْ عَنْ دِينِكَ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ.**

وَقَالَ مُنَافِقٌ: **إِنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ قُتِلَ، فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِكُمْ، فَإِنَّهُمْ دَاخِلُو البُيُوتِ.**

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمَّارٍ، عَنْ الحَارِثِ بْنِ الفُضَيْلِ الخِطْمِيِّ قَالَ: أَقْبَلَ **ثَابِتُ بْنُ الدَّحْدَاحَةِ** ﷺ يَوْمَئِذٍ وَالْمُسْلِمُونَ أَوْزَاعٌ، قَدْ سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ فَجَعَلَ يَصِيحُ: **يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، إِلَيَّ إِلَيَّ أَنَا ثَابِتُ بْنُ الدَّحْدَاحَةِ، إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، فَقَاتِلُوا عَنْ دِينِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ مُظْهِرُكُمْ وَنَاصِرُكُمْ،** فَنَهَضَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ الأَنْصَارِ، فَجَعَلَ يَحْمِلُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ وَقَفَتْ لَهُمْ كَتِيبَةٌ خَشْنَاءُ فِيهَا رُؤَسَاؤُهُمْ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ العَاصِ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَضِرَارُ بْنُ الخَطَّابِ، فَجَعَلُوا يُنَاوِشُونَهُمْ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ بِالرُّمْحِ، فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ فَوَقَعَ مَيِّتًا، وَقُتِلَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ الأَنْصَارِ.

فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلاءِ لآخِرُ مَنْ قُتِلَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَوَصَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الشِّعْبِ مَعَ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قِتَالٌ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٨٠-٢٨١، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٣].

الرسول ﷺ ينقذ الموقف:

«وهكذا أخذ المسلمون المحاصَرون يشجع بعضهم بعضًا، فعدلوا عن فكرة الاستسلام، وأخذوا سلاحهم، واندفعوا في بسالة يصارعون أمواج جند الشرك المتلاطمة حولهم وقد عادت إليهم روحهم المعنوية التي فقدها الكثير منهم، وأخذوا يشقون لهم بسيوفهم طريقًا عبر صفوف العدو المحيطة بهم، وذلك بعد أن تأكدوا من سلامة قائدهم النبي ﷺ، الذي سمعوه يناديهم بصوته الكريم لينضموا إليه: «أنا رسول الله» حول المقر الذي ظل فيه مرابطًا بعد أن كشف المسلمون المشركين في أول المعركة.

وكان بقاء الرسول ﷺ وهيئة أركان حربه في مقر القيادة وعدم اشتراكهم في المطاردة جاء بموجب خطة وقائية.

وذلك أن الرسول ﷺ عندما وضع خطة المعركة وصَفَّ رجاله للقتال أدخل في حسابه ـ شأن القائد اليقظ ـ إمكان تطور الموقف لغير صالح المسلمين (حساب أسوأ الاحتمالات مبدأ لا يغفل عنه القادة العسكريون في الحرب)، فجعل ظهره وظهر أصحابه إلى جبل أُحد؛ ليتخذ من هذا الجبل مفزعًا يلجأ إليه إذا ما ألمت بهم كارثة.

وكان الرسول ﷺ ـ كقائد أعلى للجيش ـ حين شُغل المسلمون بمطاردة العدو قد تخلف مع بعض أركان حربه: سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، فلم يبرحوا مواقعهم، وكأن الجميع ظلوا يتتبعون سير المعركة وعينهم على جبل الرماة، فلم يكد الرسول ﷺ يرى خالدًا ينقض على المسلمين ويحتل الموقع الذي هجره الرماة حتى أدرك عظم الخطر المحدق بالجيش الإسلامي.

ولم يكن أمامه ـ في تلك اللحظات ـ غير سبيلين اثنين يستطيع انتهاجهما:

١ ـ إمَّا أن يكفل السلامة الشخصية لنفسه بالشخوص إلى مفزع ما، تاركًا أصحابه لمصيرهم المقدور.

٢ ـ وإمَّا أن يناديهم مخاطرًا بنفسه لكي ينقذهم من الخطر؛ ليجعل من مقره مكان تجمع لهم، فينقذهم بذلك من خطر الإبادة أو الضياع والتفكك.

ولقد اختار السبيل الثانية، وإذ وجدهم في ضيق صاح بأعلى صوته: «**هَلُمَّ إليَّ، أَنَا رسولُ الله**».

ولقد أشار القرآن الكريم إلى موقف الرسول ﷺ الرائع البطولي هذا، الذي أنقذ به الجَيش من حيرته وارتباكه، فقال تعالى: ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾[آل عمران: ١٥٣]. [**غزوة أُحد لباشميل ١٢٧-١٢٩**].

تحسن الحالة بعد النكسة:

«ولقد كان صوت الرسول الكريم ﷺ بمثابة تيار أعاد إلى المنهزمين رشدهم، فلم يكد صوته ﷺ يصل إلى آذانهم حتى عادت إليهم الطمأنينة، وأخذوا يتوافدون نحوه، ونجح الكثير من المطوَّقين في شق طريقهم عبر صفوف العدو غير مبالين بالخسائر الباهظة في الأرواح.

وبهذا تحسنت حال المسلمين، وأخذوا ـ بقيادة نبيهم ﷺ ـ في استعادة تنظيمهم.

وصاروا يتجمعون من حوله، وأخذوا في إنشاء جبهة قتال متحدة جديدة، وبهذا أخذ مجرى القتال يتغير عما كان عليه يوم نجح المشركون في تطويق المسلمين وإشاعة الارتباك في صفوفهم بعد حركة خالد وإشاعة مقتل الرسول ﷺ». [**غزوة أُحد لباشميل ١٢٩-١٣٠**].

الهجوم على النبي ﷺ:

«ولكن صيحة الرسول ﷺ إذا كانت قد جمعت شتات المسلمين المبعثرين على صعيد الهزيمة، وأعادت إليهم روحهم، فإنها كذلك نبهت المشركين إلى أن الرسول ﷺ حي لم يُقتل، ودلتهم على مكانه.

مما جعل الذات النبوية الكريمة هدفًا لهجمات المشركين السريعة المتلاحقة.

ولقد كانت فترة عصيبة حقًّا، تعرضت فيها حياة النبي الأعظم ﷺ لأشد الأخطار، فقد عرف المشركون القريبون منه ﷺ مكانه بالتحديد فمالوا عليه بثقلهم ـ وهو لم يزل في قلة قليلة من أصحابه ـ بغية التخلص منه والقضاء عليه، قبل أن يتمكن سواد أصحابه من الالتفاف حوله». [**غزوة أُحد لباشميل ١٣٠**].

المعركة تحتدم حول الرسول ﷺ:

«وهنا دخلت المعركة في طور آخر وأخذت نيرانها في الاشتعال من جديد.

فقد أدرك الصحابة الخطر الجسيم المحدق بنبيهم ﷺ، فخشوا أن يطوقه المشركون الذين عرفوا مكانه لاسيما في تلك الفترة لم يكن فيها معه سوى بعض هيئة أركان حربه وقلة ممن سارع بالانضمام إليه لا يزيدون على عدد أصابع اليدين.

ولهذا تَدَافع الصحابة نحو نبيهم ﷺ، وأخذوا في إقامة سور بشري من أنفسهم لمواجهة ضربات المشركين الموجهة إلى الرسول ﷺ شخصيًّا.

وكان هدف الصحابة هذه المرة ـ في الدرجة الأولى ـ الحفاظ على حياة نبيهم الكريم ﷺ التي أصبحت مهددة بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الحروب التي خاضها ﷺ.

ذلك أن النبي ﷺ ـ بعد الانتكاسة واضطراب المسلمين وتشتتهم ـ بقي منفردًا في مقر القيادة العامة مع نفر قليل جدًّا من أصحابه؛ ولذلك اغتنم المشركون القريبون منه الفرصة هذه، فقامت مجموعة من فرسانهم ومشاتهم بهجمات خاطفة ركزوها على شخص الرسول الأعظم ﷺ؛ للتخلص منه والقضاء عليه ـ مغتنمين انفراده وتفرق عامة أصحابه عنه». [غزوة أُحد لباشميل ١٣٠-١٣١].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ (أي قربوا منه) [أَرْهَقُوهُ] أَيْضًا فَقَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَل كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا [إِخْوَانَنَا]**».

[مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٩)، ومسند أحمد ٢١/ ٤٤٣ رقم ١٤٠٥٦].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ خَلْفَ الْمُسْلِمِينَ، يُجْهِزْنَ عَلَى جَرْحَى الْمُشْرِكِينَ، فَلَوْ حَلَفْتُ يَوْمَئِذٍ رَجَوْتُ أَنْ أَبَرَّ: إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يُرِيدُ الدُّنْيَا، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿**مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ**﴾[آل عمران: ١٥٢]، فَلَمَّا خَالَفَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَصَوْا مَا أُمِرُوا بِهِ، أُفْرِدَ رَسُولُ الله ﷺ فِي تِسْعَةٍ: سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهُوَ ﷺ عَاشِرُهُمْ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ، قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا رَدَّهُمْ عَنَّا**»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ سَاعَةً حَتَّى قُتِلَ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ أَيْضًا، قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ رَجُلًا رَدَّهُمْ عَنَّا**»، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَا، حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**».

[مسند أحمد ٧/ ٤١٨-٤١٩ رقم ٤٤١٤، وقال الشيخ الأرناؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه].

«وَقَالُوا: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ لـمَّا حَمَهُ القِتَالُ وَخَلَصَ إلَيْهِ، وَذَبَّ عَنْهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَأَبُو دُجَانَةَ حَتَّى كَثُرَتْ بِهِ الجِرَاحَةُ جَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ؟**»، فَوَثَبَ فِئَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ خَمْسَةٌ مِنْهُمْ **عُمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ** ﷺ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَ، وَفَاءَتْ فِئَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَقَاتَلُوا حَتَّى أَجْهَضُوا أَعْدَاءَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعُمَارَةَ بْنِ زِيَادٍ: «**أُدْنُ مِنِّي إلَيَّ إلَيَّ**» حَتَّى وَسَّدَهُ رَسُولُ الله ﷺ قَدَمَهُ ـ وَبِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جُرْحًا ـ حَتَّى مَاتَ، وَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ يَذْمُرُ (يحرض) النَّاسَ وَيَحُضُّهُمْ عَلَى القِتَالِ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٤٠-٢٤١، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨١].

ذكر استنصاره ﷺ ربه تبارك وتعالى:

قال ابن إسحاق وابن جريج فيما رواه ابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ فِي الشِّعْبِ مَعَ أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ أَصْحَابِهِ، إذْ عَلَتْ عَالِيَةٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ: خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ وَنَفَرٌ مَعَهَ الجَبَلَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ لا قُوَّةَ لَنَا إلَّا بِكَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْبُدُكَ بِهَذِهِ البَلدَةِ غَيْرَ هَؤُلاءِ النَّفَرِ فَلا تُهْلِكَهُمْ، اللَّهُمَّ إنَّهُ لَا يَنْبَغِي لـهُمْ أَنْ يَعْلُونَا**».

وَثَابَ نَفَرٌ مِنْ المهَاجِرِينَ رُمَاةٌ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ، فَرَمُوا خَيْلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى هَزَمُوهُمْ، وَعَلا الـمُسْلِمُونَ الجَبَلِ. [أخرجه الطبري في التفسير ٦/ ١٥٤، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣١١].